الإتحاد الإفريقي: مقوماته وأبعاده ومستقبل القارة الأفريقية في ظل التكتلات العالمية

د. عبد الله سالم عومر
قسم الجغرافيا – كلية الآداب
جامعة الفاتح

المـــقدمـــة:-

قارة أفريقيا لها سواحل تطل على البحر المتوسط، وعلـــى البحـــر الأحمر، ومثلها على المحيط الأطلسي، وعلى المحيط الهندي متباينة طـــولا واتساعا وتكويناً وتضرساً، القارة ذات الثماني والخمـــسين دولـــة جميعهـــا أعضاء في الأمم المتحدة، قارة الغرائب والعجائب مثلما هي قـــارة الثـــروة الاقتصادية المتنوعة والسلالات البشرية المتداخلـــة، واللغـــات المتعـــددة، والأحراش والأدغال، فتكون أكبر مصادر الميـــاه بالعـــالم، أنهـــار دائمـــة الجريان مختلفة الطول والاتساع، عيون وينابيع، وبحيرات عذبـــة، قـــارة قسمت اقتصاديا فالنفط والغاز أكثر بالشمال، والمـــاء المتـــدفق بالوســـط، والذهب والماس والمعادن الثمينة بالجنوب، حيث تكامل هذه الثروات كفيل بتفعيل إتحادها.

قارة إفريقيا هي قارة الألفية الثالثة، فهي أرض المستقبل لو استغلت مواردها الاستغلال الأمثل حيث احتياطاتها المعدنية، والإمكانيات الزراعية والغابية والمائية، وثرواتها الحيوانية والسمكية كفيلة بحل مـــشاكل ســـكانها الغذائية، كما وأن كتلتها السكانية حسب تركيبتها وتقاربها اجتماعيـــا تعـــد الأقوم والأمثل إذا ما قورنت بالسكان في مثيلاتها من القارات قديماً وحديثاً، فالقيم والانحراف الاجتماعية مترابطة، والعادات والتقاليد تكاد تكون متقاربة والسكان متقاربون عرقياً وسلالياً، وإن قيام الاتحاد الإفريقي العظيم حـــدث مهم عزز من هيبتها، وزاد من شموخها وسيجعلها قاردة علـــى التـــصدي

ومواجهة التحديات المظللة الظالمة مهما كانت التكتلات المتجاوزة لقضاتها سياسيا وجيبولوتيسكيا واقتصاديا واجتماعيا.

أفـــريقـــيا والتـــاريخ:-

لقد قارعت إفريقيا بفضل جهود أبنائها البـــررة الاســـتعمار بـــشتى صوره وأشكاله، قاومت جحافله ورفضت وجوده على أرضها وطالبت في نداءات متكررة شعوبا وحكاما أن يرفع المستعمرون أيديهم عليها ويتركـــوا سكانها وثرواتها وتاريخها وثرائها وأصالتها وشأنها، فالتدخلات الـــساخرة، والمخضرمة والكانبة هي نزعات استعمارية كانـــت مـــستمرة، ويعـــرف المستعمرون أنهم ارتكبوا أخطاء في حق التاريخ والبشر بهذه القارة، والذي ينظر إلى قارة أفريقيا يرى أن شعوبها قد خاضت ملاحم تاريخية في ساحة النضال والتضحية وربحت في أكثر معاركها حيث حطمت تـــاج العبوديـــة وهزمت أنصارها، وانتصرت على الهيمنة والغطرسة الجائرة وتراجعـــت فلولها وقهرتها، ولعل رفع الحصار الجائر على الجماهيرية العظمـــى هـــو حدث عظيم عزز كرامتها، ونبذت التفرقـــة العنـــصرية فقـــضت عليهـــا وأقصتها، وحاربت العنصرية الشرسة فانتزعت جذورها، فالقارة باقتصادها ومكوناتها، بثرائها وأصالتها وتحديثها ومعاصرتها تعـــد بكـــل المـــوازين جغرافيا وتاريخيا، انثرولوجيا وسياسيا وجيولوليليكيا، وبـــالعلم والمعرفـــة، الثقافة والخبرة، بالشعوب والسلطة يدعمها التـــاريخ وتـــسندها الجغرافيـــا وتفعلها السياسة عملت جاهدة فكان تاريخ القارة مضيئاً مثلما كـــان موعـــد أفريقيا مع التاريخ في قمة سرت الثانية منادياً ثوارها بالاتحـــاد الإفريقـــي، ولعل في مفردات تعد كلماتها موزونة على قدر عالٍ من الأهمية، مفادهـــا "أنه شرف لليبيين والليبيات حيث هم الذين انتزعوا المبادرة بفـــضل القائـــد الحكيم معمر القذافي الذي دعا لتغيير ميثاق الوحدة الأفريقية وإقامة الاتحاد الأفريقي العظيم. ذاكراً أنه لإخلاص لإفريقيا طوال تاريخها إلا بقيام الاتحاد الإفريقي، وأنه لا حلف لإفريقيا إلا مع نفسها، وأن أفريقيا للإفريقيين، وأن إرادتها بفضل شعوبها لا تصدأ بفضل الاتحاد، معتبراً أن تحقيق الاتحاد هو حدث مهم في تاريخ أفريقيا بعد عشرات من المراحل قطعتها القارة عبـــر تاريخها الطويل على درب التحرير والمطالبة بالوحدة"[1].

[1] معمر القذافي، كلمة في الجلسة الافتتاحية لقمة سرت بشأن إعلان الاتحاد الإفريقي، 2001.

إن هذا يقود إلى حقيقة مهمة هو أن إفريقيا قد حققت إنجازاً مهماً يضم فضاءها، إتحاد أرتكز على قاعدة متينة مفادها أن زمن التجزئة والتفرقة قد ولىّ، وأن زمن التطور الوحدوي قد أتى، وأن في هذه الوحدة والتكامل بقيام الاتحاد درءً لسلبيات التجزئة التي يطبل لها المستعمر ويمجدها أعوانه، ويصفق لها السفهاء وربما السخفاء من ذوي العقول الجوفاء، ويتحتم على شعوب القارة شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً ووسطاً أن تتحرك بكل ما أوتيت من قوة مادية ومعنوية في دعم الاتحاد الأفريقي والمناداة بفاعلية لمولد الولايات الإفريقية المتحدة، فالاتحاد وولاياته المتحدة هو ضمان وعزة، وتحدي لعولمة اوروأمريكية طاغية عرفها التاريخ في العصر الحديث. هذا المستعمر توجعه مفردات الإدريسي التي مفادها "أن أفريقيا عربية منذ فترة ما قبل التاريخ حسبما ورد في دراسات الهجرة الوافدة لإفريقيا، وأن العرب انتشروا على كامل أرض أفريقيا في العصر الحجري الأخير، مفندا الأراء التي زيفت الهوية العربية لإنسان أفريقيا وطمست أصله وإرجاعه إلى أصول حامية زنجية، ذاكرا أن الكثير من البحاث العرب ساروا على نهج الباحثين الغرب في الفصل بين الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية ونظيره في أفريقيا خدمة للأهداف العنصرية ومحاباة للاستعمار الذي سعى ماضيا وما يزال يسعى خاصرا للنيل من العرب على مدى التاريخ، مشيرا إلى أن مضيق باب المندب، وبرزخ السويس كانا الطريق الرئيسي للهجرة الإفريقية منها وإليها"[1].

وقد شاطره الرأي الجوهري عندما أوضح أن أفريقيا قد تعرضت لهجرات خلال تاريخها الطويل أضافت إليها دماء جديدة، موضحا أن السلالة القوقازية وفدت لإفريقيا عبر برزخ السويس، ومضيق باب المندب وهم من الساميين من شبه الجزيرة العربية، عن طريق باب المندب، تدفقت السلالة الحامية لإفريقيا مهاجرة إلى القرن الأفريقي وحوض النيل، موضحاً أن مضيق جبل طارق كان منفذا ثالثا خلال العصر الحديدي والعصور التاريخية اللاحقة، وأنه كان مخرجا للقارة وخاصة لسكانها في الطرف

[1] . عبد الله زكريا الإدريسي، دراسة في الهجرة القديمة، أفريقيا عربية منذ ما قبل التاريخ، الدعوة الإسلامية، مقال منشور عدد655، العام 1420، ص10.

الشمالي، مؤكداً أن هناك هجرة وفدت لإفريقيا من آسيا حاملاً المهـاجرين معهم أساليب زراعية"[1] ومثله جاءت إفادة رياض كوثر عبد الرسول[2].

هذه لمحة تاريخية عن قارة أفريقيا يتضح من خلالها أن القارة كانت مجزأة ضعيفة مسكينة، صارت بالاتحاد الإفريقي العظيم قارة لها فضاء مهم في النظام العالمي متوجة جهود القادة الإفارقة (عبـد الناصـر، نكرومـا، موديبوكيتا، وجوكينياتا، نيريري، مانديلا، بن بلا)، والتي فعلت وعـززت بجهود القائد الأممي معمر القذافي الذي ساند بفكـره وجهـده وإمكانياتـه وإرادته قيام الاتحاد، متحدياً منتصراً فـي هـذا المجـال، ومثلمـا تـدين الجماهيرية للأفارقة في فك الحصار الجائر على شـعبها وأرضـها، فـإن أفريقيا وإفريقييها تدين للقائد العظيم الذي له الفضل في فكرة الاتحاد وبلورة هذه الفكرة وإخراجها لحيز الوجـود فتكـون الاتحـاد الأفريقـي سياسـياً واقتصادياً.

مشكلة البحث وأهميته وأهدافه:-

ان المشكلة تكمن في تسليط الضوء على القـارة السـمراء وهـي موحدة، واستطلاع أوضاعها عندما كانت مجـزأة مـشتتة متفرقـة، هـذه المفارقة جعلت من الاتحاد الإفريقي قوة مهابة يقدرها مبتكـرو العولمـة، ويخشاها المستعمرون الذين ينظرون إلى ماضـي تـاريخهم، أن مـشكلة الدراسة تتمحور في هذا البحث بطرح التساؤلات التالية:-

1. هل أن قيام الاتحاد الإفريقي كفيل بتعزيـز مقومـات القـارة طبيعيـة وبشرية، معززاً من هيبتها، مفعلاً إنتاجها كماً وكيفاً على عكـس مـا كانت القارة وهي مجزأة.
2. إلى أي مدى تظل قوى الغرب والشر تسعى وتخطط لتمزيـق القـارة سياسياً واقتصادياً، ثقافياً وحضارياً، ليعاني الخلف مثلما عانى السلف آثار التدخلات، وهل ستكون هذه التدخلات فاعلة بعد قيام الاتحاد.

[1] . يسري عبد الرزاق الجوهري، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية للنشر والتوزيع والإعلان، الإسكندرية، 1990، ص215-216.

[2] .انظر أيضاً محمد رياض، كوثر عبد الرسول، أفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت 1973، ص213-214.

3. هل بقيام الاتحاد الإفريقي تظل القارة السمراء مشدودة للضغوط الخارجية أيا كان مجالها، والتي تعد بابا للتدخلات الأجنبية قصد حل الخلافات الداخلية؟

4. إلى من ينسب العيب، إلى معطيات القارة طبيعيا لمقوماتها اقتصاديا، أو لقوتها سكانيا؟ أم لواقع حكوماتها وحكامها الذين فرضوا عليها التجزئة أو رضوا بها بكل ما يحدوها من تبعية وتخلف والتي هي ضربة تلقتها القارة، وهل الوحدة بقيام الاتحاد خلصتها منها وزادت من شموخها.

5. لماذا هذا التغاضي ربما غير المقصود على أن أفريقيا تشكل في حقيقة أمرها جزءا حيويا من الثرات والتراب العربي، وأن لها روابط متينة مع أمة العرب بحكم الموقع والموضع والجوار والوسائج الحميدة منذ بزوغ فجر التاريخ؟

6. كيف أن أهمية قيام الاتحاد الأفريقي تكشف عن أهمية القارة سياسيا وجيولوليكيا واقتصاديا واجتماعيا، وهل الاتحاد يجعلها كفوة ذات فضاء مهم ضمن الفضاءات العالمية حاليا ومستقبليا؟

7. كيف تظهر فرضية التجزئة لإفريقيا بكل المعايير خاطئة، وأن الحدود المرسمة هي حدود مزيفة وهمية مخادعة باطلة، وأن أمل الأفارقة شعوبا وحكاما لم يعد اليوم التمتع باستقلال جهوي يقدر ما هو تفعيل الاتحاد الإفريقي؟

أما الأهمية فتكمن في دعوة كل القراء والمفكرين والكتاب والمتخصصين والخبراء أن يجعلوا من الجغرافيا سببا ونتيجة وذات طبيعة ديناميكية لا إستاتيكية، فالحدود مصطنعة والدويلات القزمية زائلة في ظل التكتلات الدولية أيا كان مجالها، فالقارة التي كانت تمثل ماضيا ممزقا صارت حاضرا مهما في الميزان الدولي، وهذا ما ستوضح أهميته باستفاضة.

ويفسر الهدف الأهمية حيث يكمن الهدف في معرفة مشاكل القارة وهي مجزأة ومحاولة تبويبها لإمكانية التغلب عليها والقارة موحدة دون تدخل أجنبي أو توسل باسم الكرامة والهوية، والهدف أيضا ألا تكون القارة

مهشمة وفي طي النسيان بحسابات الغرب مجدولة، فالأهمية والهدف واضح ما دامت الغاية محتوى معنى محددة.

المـــنهـــج المتـــبع:

لقد تم في هذا البحث إتبـــاع المـــنهج الوصـــفي (Qualitative) والأخر الكمي (Quantitative)، حيث في الأول تم تتبع ما أمكن للحصول عليه خدمة لهذا الموضوع من بيانات وإحصائيات من المصادر والمراجـــع والدوريات والتقارير والأبحاث العلمية المنشورة، وفي الثاني تـــم تحليـــل البيانات نسبة وتناسبا، كما تم الربط بين متغيرات مفردات البحـــث كـــسبب ونتيجة، حيث أكدت الدراسات المتخصصة جغرافيا على هذا النسق، ولعل من المتخصصين الفرا الذي أوضح "أن الاعتماد علـــى منهجـــين أحـــدهما وصفي والأخر تحليلي هو من الأهمية بمكان مشيرا إلى أن تتبعهـــا معـــا يوصل الباحث إلى الحقيقة المتوخاة حيال الموضوع المبحوث"[1]. ساند هذا الرأي سيف مؤكداً هذا الاتجاه[2]، وكذلك بدر الذي بين "أن إتبـــاع الباحـــث لمنهجية محددة توصله إلى كشف الحقيقة والوصول بالبحث إلى المطلـــوب تسلسلاً منطقياً وترتيبا علمياً واستبعاداً للخيال"[3].

وسواء هذا أو ذاك فالمنهجية مهمـــة تـــدعمها الأدوات المـــستخدمة كالخرائط والأشكال والمقاييس والاستبيان والتي إذا ما اســـتخدمت تثـــرى البحث وتعطيه معنى ومحتوى أوضح، وقد كانت الخرائط موضحة لكثيـــر من المعطيات الجغرافية في هذا البحث.

الخصائص المكانية للقارة ومكر وخداع الغرب:-

أفريقيا إحدى قارات العالم القديم الذي كان يتكون من قارة واحـــدة، تظهر القارة على شكل شبه جزيرة كبيرة تحوطهـــا البحـــار والمحيطـــات باستثناء الالتحام الإفريقي الآسيوي الذي لا يتجاوز 125 كـــم ممـــثلا فـــي برزخ السويس، تفصلها مسافة 4000كم عن قارة انتراكيتسكا غير المأهولة

[1] محمد علي الفرا، مناهج البحث الجغرافي بالوسائل الكمية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص29.
[2] محمود محمد سيف، أسس البحث الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص91.
[3] أحمد محمد بدر، أسس البحث الاجتماعي، في محمد محمد سيف، أسس البحث الجغرافي، المرجع السابق، ص93.

بالسكان، وتمتد أفريقيا ما بين دائرتي عرض (37°20-) شمالاً عند رأس انغيلا بتونس، وعند الدائرة العرضية (34°50-) جنوباً عند رأس أجول هاس، وتمر الدائرة الاستوائية بوسطها وهو ما عمل على تنوع الأقاليم المناخية، متعامدة الشمس مرتين في المناطق بين المدارين ولهذا خصائص إيجابية وأخرى سلبية، إن موضعها جعل دولا بالقارة لها جبهات بحرية طويلة مثل الجماهيرية وأخرى بحرية قصيرة، وثالثة هي دول حبيسة ليس لها جهة بحرية، كما أن لبعض الدول جبهة برية واسعة ذات مساحة كبيرة فالكنغو مثلا مساحتها (2344000 كم^2 بجبهة بحرية لا تتجاوز 40كم، والجزائر (2381000) كم^2 بساحل طوله 1300 كم وبعمق صوب الداخل 2000كم، والسودان أكبرها جميعها (2502000 كم^2) وبساحل 700 كم وبعمق صوب الداخل 1800كم ، والجماهيرية (1756500 كم^2)، بحيث لا تتجاوز أطوال السواحل الأفريقية مجتمعة (304000 كم)، وأن أكبر الخلجان يتمثل في خليج سرت وقد أوضح الدناصوري ذلك مشيراً إلى أن الجزر متعددة وتمتاز بصغر حجمها، أكبرها جزيرة مدغشقر إلى يحسب لها المستعمرون ألف حساب لأهميتها وكبر مساحتها (593000 كم^2) خاصة في الاستثمار السياحي[1]. وشاركت الدناصوري الأمم المتحدة في رأيه عن الجزر الأفريقية التي تبلغ مساحتها جملة (619326 كم^2) متناثرة بالمحيط الهندي والمحيط الأطلسي[2]، ولم تكن إشارة (Haily) بعيدة عن ما ذكره الدناصوري حيث بين أهمية موضع قارة أفريقيا الذي يفعله موقعها وتزيده أهمية جزرها المتناثرة بالمحيطين، مبيناً أن هذه الجزر هي على قدر كاف من الأهمية بالنسبة للمستعمرين قديماً في مجالات استثمارية، وتفصيلا مكانيا للإقامة، محدداً الجزر ومساحتها ومواضعها[3] كما هو مبين بالجدول رقم (1).

[1] . جمال الدين الدناصوري، جغرافية العالم القديم، قارة إفريقيا، ط2، القاهرة، 1964، ص61-62.
[2] . الأمم المتحدة، الإحصائيات الدولية Almanal – World 1990، ص95.
[3] . K.H. HAILY, THE AFRICAN SURVEY . OXFORD ATLAS, LONDON, 1956, PP56-57.

جدول رقم (1) الجزر بالقارة الأفريقية[1]

الجزر بالمحيط الهندي	المساحة كم²	الجزر بالمحيط الاطلسي	المساحة كم²
مدغشقر	593000	جزر الكناريا	7273
سقطرة	3579	كيب فرد	4033
ريونيون	2510	فرناندوبو	2017
موريشيوس	1856	نومي برنسيب	964
زنجبار	1658	مادیرا	740
تمبا	984	سانتا هالينا	122
تسترل وامير انت	404	ترمستان داكونها	98
		اسانشن	88
المجموع	603.991	المجموع	15335

تتمتع القارة في موضعها الذي فرضه موقعها بظروف مناخية متعددة فالمناخ الاستوائي، والمداري، والمعتدل، والجاف بما يحدوها من أمطار غزيرة دائمة، وجفاف وتصحر، وأمطار فصلية، وحرارة عالية، وتذبذب في كمية المطر صيفية وشتوية جعل القارة تتمتع بزراعة متعددة، ورعي متنوع، وأنشطة حرفية يمارسها السكان وفقاً لهذه الظروف، ولما تفرضه أنواع التربة وخصائصها وحل المشاكل التي تعانيها والتي في مقدمتها الانجراف والتعرية. وقد أوضح رياض "أن بافريقيا أنواع متعددة من التربة أهمها التربة البنية، والشيرنوزم واللاتراريث، والمدارية، والجافة"[2]. وأنه وفقاً لما أورده (MOHER) "أن التربة متعددة، والأبحاث حيالها كثيرة، وأن الجهل بأنواع التربة وتناقص الخبرة بخصوصها جعلت الإنتاج يتدنى، موضحاً أن القارة ما زالت في حاجة إلى بذل المزيد من الجهود لدراسة معمقة للتربة التي ما زالت تخفي الكثير، وتبشر بالأكثر نحو الأفضل والأحسن، والأجود والأمثل من الإنتاج، موضحاً أن هناك دراسات حديثة تخص التربة"[3].

[1] . E.O. HAILY, OP.CT p. 125

[2] . محمد رياض، كوثر عبد الرسول، مصدر سابق، ص120.

[3] .E.G. MOHER THE SOIL OF EQUATORIAL REGION. ANN- ARBOR, MICHIGAN, USA., 1944, PP 83-85.

وهكذا فإنه باستخدام معيار التربة، ونمط النبات، والظروف المناخية فإن هناك أقاليم متعددة أهمها (الأقليم الأطلسي، والنطاق الجاف، والنيل الأدنى والأعلى، ومنطقة غرب افريقيا، القرن الأفريقي ونطاق الهضاب الكبرى، ونطاق وسط القارة، والهضاب الجنوبية، وإقليم الكاب، ومنطقة موزنبيق، مدغشقر، ونطاق الساحل) جميعها، مناطق تتنوع فيها التربة والحياة النباتية خريطة رقم (1).

خريطة (1) التربة في أفريقيا[1]

[1] ـ محمد رياض / كوثر عبد الرسول، مصدر سابق، ص120 استنادا إلى S.J. Schokalskaja

وتخترق أجزاء كثيرة منها أنهار دائمة الجريان، وكل الأقاليم شكلت القارة بمساحة حوالي (30.3 مليون كم^2) بما يعادل (20%) مـن مـساحة الكرة الأرضية كثاني قارات العالم بعد أسيا مساحة.

إن تمزق القارة قبل قيام الاتحاد جعلها مقارنة بالقارات الأخرى تعد أقل قارات العالم في مساحة السهول المستغلة زراعياً ورعوياً من مجمـوع المساحة العامة لكل منها، كما هو موضح بالجدول رقم (2):

جدول رقم (2) المساحة المستغلة زراعيا ورعويا[1]

القارة	نسبة المستغل زراعيا ورعويا (%)	المساحة الكلية كم^2
أسيا	79	44000000
افريقيا	38	30000000
امريكيا الشمالية	86	90000000
أوروبا	90	10000000
امريكيا الجنوبية والوسطى	72	14700000
استراليا	89	7700000

يتضح من محتويات الجدول رقم (2) الآتي:-

1. أن أفريقيا تأتي ثاني قارة بعد أسيا مساحة، وأقل نسبة في استعمالات الأراضي زراعياً ورعوياً مقارنة بباقي القارات.
2. إن مساحة أفريقيا تضم في مجملها ما مجموعـة مـساحة الولايـات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وشبة الجزيرة الهندية بمعنى أن مساحة افريقيا تساوي ثلاثة أضعاف مساحة قارة أوروبا وحوالي مرة ونصف مساحة الولايات المتحدة ومعها كندا، وحوالي عشرة أمثال مساحة شبة القارة الهندية مضافاً إليها مساحة البرازيل، وتعادل مرة وربع مساحة روسيا، ورغم هذه المساحة الكبيرة فالتمزق والتشتت والتجزئة جعلت الإنتاج متدنيا والاقتصاد ضعيفاً.

[1]. J.H Wheeler , Regional Geography of the world, New York press, Second edition , N.Y , 1981. PP 210.

3. بهذه المساحة الشاسعة المتعددة التركيب والظروف والإمكانيات الطبيعية يمكن للقارة الرقي إلى مستوى النمو الزراعي والرعوي الكثيف، ومقابله تحديات العولمة في هذا المجال، وإزاحة شبح العولمة الخضرمة (التطويع أو التخويف والتجويع) وألا يكون التاريخ مجهولاً، ولا أن تتوارى القارة في التبعية التي خطط المستعمرون لها أن تكون عليها، بل بعيدة عن التظليل والسيطرة والخضوع وربما الخنوع.

أفريقيا كأكبر مصدر مائي بالعالم:-

إن غنى قارة إفريقيا بالمياه من مصادر متعددة جعلها تحظى بأكبر تصريف نهري عالمياً، مثلما جعل واقعها المعاش في هذا المجال وهي مجزأة يقبل تحديات المنطق المعكوس، لأن ما زرعه الاستعمار وما يتوقعه مستقبلياً أن يصير الماء سلعة استراتيجية يمكن أن تتجاوز في أهميتها النفط، وأن هذا سيجعل القارة تعاني من مشاكل متعددة، مثلما يجعلها مهددة وربما تكون سبيلاً لخلخلة الأمن العسكري داخلياً، وهذا ما يخطط له الصهاينة والغرب والأمريكان، وبوحدة أفريقيا خاب ظن المخططين وأعوانهم في هذه المفردات بمعادلة أمن مائي، اقتصادي سياسي تبعية في شتى المجالات، لأن أفريقيا بتوحدها خرجت إلى مرحلة الإدراك والوعي لكل ما يحاك ضدها من مؤامرات بشأن مواردها والماء أخطرها. إنه بالنظر إلى التصريف المائي بالقارة يتضح حسبما أورد عوض أن (50%) من المناطق بها تصريف مائي بحري، وأن (12%) تصريفها داخلي لبحيرات أو دالات، وأن (38%) تخلوا من معنى مفهوم تصريف نهري لأن جزءاً كبيراً تخلوا من وجود أنهار.[1]

وأورد رياض أن المحيط الأطلسي يقوم بتصريف 11.3 مليون كم^2 من مجموع الأحواض النهرية بالقارة، وأن المحيط الهندي يقوم (2.3) مليون كم^2، موضحاً أن السواحل على المحيط الأطلسي هي أطول من نظيرتها على المحيط الهندي بالقارة، مشيراً الى أن نهر الكونغو وحده له عدة فروع وأن تصريفه 3.7 مليون كم^2 وهو ثاني أنهار أفريقيا منفعة

[1] . محمد عوض، نهر النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1956، ص20.

مكانية وطولا وأهمية، وأن نهر النيل يبلغ طولـــه (6671 كـــم) والكونغـــو (4377 كم)، وأن أنهار الزمبيزي والكمبولو، طولهما (4260كـــم) وجوبـــا (1500)، والأورانج (1860كم) والفولتا (1800 كم) وغيرها من الأنهـــار الأخرى المتباينة الأطوال.[1].

وبالنظر إلى خريطة أفريقيا رقم (2،3،4) يتضح أن نهر النيل لـــه طاقة استيعابية، ويخترق (35°) عرضية من الجنوب للشمال دون توقـــف مخترقاً نطاقاً إستوائياً ومعتدلاً وصحراوياً، وأن نهر النيجر هو ثالث نهـــر بعد النيل والكونغو يخترق بدوره نطاقاً إستوائياً ومنطقة شبه صـــحروية، وصحراوية، وأن البحيرات المتراصة والمشهورة عددها 14 بحيرة منهـــا 11 بحيرة بالجهة الشرقية، وهي بحيرات أخدودية وعادية، وأن الأولـــى لا يزيد عددها عن ثمانية. والجدول رقم (3) يوضح أهم البحيرات ومـــساحتها ومتوسط العمق[2]

جدول رقم (3) أهم البحيرات في أفريقيا

البحيرة	معدل الارتفاع (م)	المساحة (كم²)	متوسط العمق (م)	طول الشاطئ (كم)
فكتوريا	1136	68885	40	3440
تنجانيقا	775	32880	250	1900
نياسا	741	28480	237	1500
تشاد	295	16500	21	768
رودلف	407	8300	30	900
هويرو	970	4920	6.5	410
البرت	618	4246	10	520
كيفو	1455	3900	39	580

كما وأشار جودة في موضع أخر إلى أن بعض البحيرات الأخرى التـــي لها أهمية ومنفعة مكانية حالياً يمكن أن تفعل مستقبلها وذلك على النحـــو التالي[3]:-

[1] . محمد رياض، أفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 110.
[2] جودة حسنين جودة، الجغرافيا الإقليمية، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 1987، ص70.
[3] . جودة حسنين جودة، المصدر السابق، ص70

خريطة رقم (2) الأنهار الرئيسية والبحيرات المهمة[1]

[1] محمد رياض/كوثر عبد الرسول، مصدر سابق ، ص69

خريطة رقم (3) الأنهار الرئيسية وأحواض التصريف النهري[1]

[1] . جودة حسنين جودة، أفريقيا الإقليمية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1987، ص68.

خريطة رقم (4) التصريف النهري بالقارة
والبحيرات الرئيسية

1. بحيرة ثانا بارتفاع 1800 م وبمساحة 3100 كـم^2، وبعمـق 35 كـم، وبشاطئ 300كم.
2. ليولولد، بارتفاع 340م ، بمساحة 2320 كم^2، وبعمق 50م، وبـشاطئ 500 كم، وبحيرة تومبا على ارتفـاع 300م، وبمـساحة 1275 كـم^2، وبعمق 40م، وبشاطئ 220كم.
3. بحيرة ادوارد بارتفـاع 914م، وبمـساحة 2200كـم^2، وبعمـق 25م وبشاطئ 220كم، ثم بحيرة سـتيفان علـى ارتفـاع 582م وبمـساحة 790كم^2، وبعمق 30م، وبشاطئ 260 كم، وأخيـرا بحيـرة بنجويلـو بارتفاع 1150م، وبمساحة 2330 كم^2، وبعمق 05م وبشاطئ 260كم.

ما يلاحظ على هذه البحيرات ومثلها إنها بحيرات بمياه عذبـة وأن فكتوريا ثاني أكبر بحيرة للمياه العذبة في العالم وأن بحيرة تنجانيقا بالأخدود الغربي الأفريقي هي سابع بحيرة بالعالم، وثاني بحيرة من حيث العمق بعد بحيرة بيكال. وأن بحيرة تشاد هي بحيرة مغلقة، وملوحـة مياهها قليلـة، وأخيرا بحيرات شرق افريقيا تمتاز بالطول والضيق النسبي، وكذلك الحال بحيرات الوسط الأفريقي. وأن الجنادل والشلالات توجد في حوض النيـل والكونغو، ويمكن توليد طاقة كهربائية. ولقد أشار (MOOR) إلى أن هناك إمكانيات كبيرة لاستثمار المياه والتي على أثرها يمكن إعادة توزيع السكان بشكل تكون فيه الكثافة السكانية متعادلة مع المساحة الأرضية المتروكة من غير استغلال أو غير معمرة (VACANT-LAND).[1]

أن الاتحاد الإفريقي غير من المنطق المعكـوس لمـستقبل القـارة لتصير في منظور العولمة الجائرة ذات قيمة واتزان بعيدة عن الاسـتغلال والاستبعاد المشروط، مكونا خريطة إفريقيا السياسية الجديدة، لهـا مكانـة ضمن الفضاءات العالمية والتكتلات الدولية وبشكل يعيـد كتابـة التـاريخ بحروف مضيئة ليستبعد التحرك الاوروامريكي، والعنـصري الـصهيوني بأخطاره وشروره. وهذا ما كان ليتحقق وخلق فضاء واتحاد أفريقي لـولا جهود قائد المسيرة الخضراء حكيم أفريقيا وطورها معمر القدافي الذي أكد

[1]. E.W MOOR, SOCIAL CHANGE IN AFRICA, PRINTICE-HALL, ENGLEWOOD CLIFF, NEW JERSEY, 1983, P216.

دوماً "أن الفضاء الأفريقي هو الخيار الأفضل، وأن الفخر والاعتزاز والابتهاج غمر سكان القارة بهذا الإنجاز العظيم، الذي ردّ وسيرد بفاعلية اعتبار القارة السمراء، معتبراً أن هذا الإنجاز هو تاريخي لقارة أفريقيا وعلى مستوى العالم.[1]

أفريقيا مخزن معادن وهمّون رئيسي للعالم من الموارد الأولية:-

إنه بالنظر إلى خريطة إفريقيا رقم (5) يتضح أن القارة بها معادن ثمينة موزعة توزيعا ربما هو غير عادل بالنسبة لمساحتها وكثافة وتوزيع السكان بها، وتوجد بها كميات من النحاس محتلة المرتبة الثانية عالمياً، خاماته من النوع الجيد مشكلا 21.7% من الإنتاج العالمي، كما أن خاماته تمتد في قطاعات يصل طولها 450 كم والكونغو وزامبيا ووسط أفريقيا هي أشهر مناطقه، كما تحوي القارة معدن الكروم بنسبة 90% من احتياطي العالم فيه منتجة ثلث الإنتاج العالمي، وتساهم 25% من إنتاج المنجنيز 66% من إنتاج الكوبالت 33% من إنتاج الفاناديوم، 80% من التيتانيوم 50% من إنتاج الذهب، 20% من البلاتين، 89%من الألماس والفضة، 3% من الفحم، والنفط والغاز 4.8% ، 6.7% من الرصاص، 5.3% من الزنك، 11.3% من القصدير، 8.8% من الحديد و 23.6% من الفوسفات، ومن الاسبستيوس 11.2%، كما وإن بأفريقيا ثروة من الأخشاب تتجاوز 15نوعاً من الأشجار المهمة وتسهم 265 مليون م^3 من الأخشاب التي تدخل في الصناعة بالنجارة العالمية وإن بها أكثر من 5مليون كم^2 بالوسط وبحوض الكونغو غابات لم تستغل، وإن بها أعشاب كعقاقير طبية، ومن أشجار زيت النخيل مسهمة 59% من مجمل الإنتاج العالمي[2].

وهناك ما يجعل القارة مهمة متميزة في مجال السياحة حيث تحوي ما يلاءم بين متغيري البيئة والسياحة محميات متعددة أشهرها محمية سفاري بكينيا وحياة نباتية حيوانية برية جاذبة للسياحة بحوض الكونغو، ومحميات بحرية لها آفاق مستقبلية في ظل الإتحاد إستثماراً ونموا وتطوراً.

[1] . معمر القذافي، خطاب في الافتتاحية لقمة سرت الثانية، في أفريقيا اليوم المسيرة والعطاء، 2001-2002، ص53-65 .

[2] . لمزيد من الإيضاح راجع محمد رياض كوثر عبد الرسول، الاقتصاد الإفريقي، القاهرة، 1963ف، ص295.

التوصيات والمقترحات:

هناك العديد من التوصيات والمقترحات أوددت ذكر أهمها منحصرة في الآتي:

1. إن مولد الاتحاد الأفريقي هو حدث تاريخي مهم في تاريخ القارة، لابد من تفعيله بروح الحرية الفكرية ومتابعة البحث والتنقيب في مقوماته وأهدافه أو طرح مفرداته في المحاضرات والدروس العلمية على كافة مستويات المراحل التعليمية قصد إثرائه واشتراك الجميع في برامج إنجاحه لا أن يمر عابراً وتبسيط حقيقته بهذا الهدوء في دول القارة وبين مثقفيها ومتعلميها ووسائل أعلامها.

2. إن تجزئة القارة في شكل دول قزمية رغم وطنيته المهمة، فإنه في نظام العولمة أصبح بصفة متزايدة نظاما غير فعال، وفي منظور ومسار التكتلات الاقتصادية هو غير مجدي، وعليه فإن اتحاد أفريقيا مع نفسها وظهور اتحاد ولايات يضمها هو الطريق الصحيح إلى التكامل والتكتل في فضاء يكون له وزن مهم، فالتجزئة ليس باستطاعتها حل المشكلات وتعجز أحياناً إيجاد قرار حاسم ومجدي اتجاهها، ومن ثم لا بد من دعم الوحدة لأن فيها منفعة للقارة ومصلحة.

3. إن إمكانيات القارة الممثلة في مواردها المالية والطبيعية الأخرى هي إمكانيات رهيبة يمكن مضاعفتها واستثمارها بشكل منظم وجيد، وهنا لابد أن تعي شعوب القارة ما يحيط بها من أخطار وصعوبات، واضعة للخروج من مرحلة التبعية إلى الاعتماد على النفس والتبادل غير المشروط، أهدافا تدعمها حركة واعية بعيدة عن الأنانية الإقليمية، مثلما هي بعيدة عن التشاؤم والتردد والجحود، متطلعة إلى المستقبل بالثقة، متصدية للحرب الإعلامية التي تستهدف نسف الإتحاد أو قيام الولايات المتحدة الأفريقية، والأفارقة مطالبون أيا كان تواجدهم كشعوب دعم هذه الوحدة والوقوف ضد الهجمة الغربية الأمريكية الصهيونية الشرسة في هذا السياق.

خريطة رقم (5) أهم المعادن وأماكن تواجدها[1]

[1] . الأطلس العالمي ص(20.

4. إن على المثقفين والمتعلمين وحتى عامة الشعب دحـــض المـــؤامرات والخطط الاستعمارية والتي يحاول الاستعمار فيها تعزيز ودعم وجـــودة في الأماكن الأكثر ثراء بمواردها بمختلف أنواعهـــا بالقـــارة، محـــاولا الدخول باسم إحلال السلام والحقيقة هو الاستـــسلام مـــدعما حركـــات الانفصالية التي من شأنها زيادة التجزئة وتفعيل التبعية. فلينطق الجميع من أن أفريقيا للأفريقيين وإن عهد المستعمرين قد ولى.

5. إذا كانت العولمة لا تتطلب إلغاء الخصوصيات ولا أن تتبجح بفـــرض الشر والعفرتة والطغيان والهيمنة، وأن الباحثين يؤكدون إن كـــل عـــام بداخله خصوصيات وجزيئات وبه ســـلبيات وإيجابيـــات، وأن تعـــاون الخصوصيات هو أساس الإيجابيات، فإن الولايات المتحـــدة الأفريقيـــة كحدث تاريخي مهم أمر يخص شعوب قارة أفريقيا دون غيرهـــا ومـــا على الغرب وحتى العرب إلا دعمها أو التزام الصمت حيالها، لأن هذا الأمر يخص أفريقيا وحدها وهو حدث تاريخي ستكشف عجلة التـــاريخ مدى أهمية مستقبلا.

الخـــاتمـــة

إن قارة إفريقيا التي أشتق أسمها من أفري، وأفريكوش التي كـــان يقصد بها ولاية واحدة أسست بعد تدمير قرطاجنة 146 ق.م كمـــا ســـماها الفينيقيون، وأنسبت بعض الدراسات أصل التسمية إلى زعيم عربي إســـمه إفريقيش، وحرف الكتاب الغربيون إفريقيا حضارة ونطقـــا لأمـــر يهمهـــم فصارت أفركا AFRICA مثل ما تنطق أعجميا، وعندما جاء الإسلام كيف عمر بن العاص الاسم إلى ما تعرف به القارة حاليا أفريقيا مقتصرة التسمية أيامها على المنطقة الشمالية وغرب النيل، وعممت فشملت القارة جمعـــاء فيما بعد.

إن صلة أفريقيا بالأفريقيين مهما كانت التسمية هي صلة تاريخيـــة فلكل سكانها تعد القارة بحكم ترابها أمّا لهم أرضا بالاستغناء عن جنسياتهم والديانة المعتنقة، وتواجد العرب في الجزء الشمالي من الأرض الأفريقيـــة هو تواجد تاريخي قديم يرتبط فيه السكان العرب بباقي سكان القارة بـــصلة متينة بحكم الموقع والموضع، وبحكم الجوار والوسائج الطبية الحميدة منـــذ

بزوغ فجر التاريخ، وليس أدل على ذلك من اللغة العربية لغة الضاد تحتل مكان الصدارة بين حوالي 150 لهجة ولغة للتخاطب بين سكان القارة، يتحدث بها سكان البلاد العربية، والكثير من سكان الحزام الصحراوي، والبعض من دول القارة شرقا وغربا وجنوبا ووسطا. علما بأن هناك لغة الهوساء والسواحلية، والأمهرية، والنيلية والفولانو، والبانتو، والمادنقو، واليوربا، والايبو، كلغات ولهجات مشهورة.

لقد أرجعت الكتابات السلالية بالجغرافيا البشرية، والكتابات التاريخية أن قارة إفريقيا سلاليا تنسب إلى زعيم قديم في تاريخ اسمه إفريقيش بن قيس خلال الألف الثانية قبل الميلاد، وهو الذي استوطن مع مجموعة من القبائل أشهرها كهلان وبني كنعان شمال إفريقيا والحزام الصحراوي، والواحات والمناطق الداخلية وما وراءها وهم الذي شكلوا مع من وجدوهم قبلهم شعبا متماسكا، وهم الذين حسبما ورد في بعض الكتابات التاريخية كان لهم الدور الأكبر في نشأة الحضارة القديمة بمنطقة فزان وما وراءها.

لقد حاول الكتاب الغربيون طمس الحقائق حول القارة وجعلها قارة مظلمة ومجهولة علما بأن هذه هي حقيقة فالقارة مجهولة كما أرادها الأوروبيين وحلفائهم، ولكنها ليست مجهولة ولا مظلمة لأبنائها الذي عاشوا فيها منذ عصور قديمة وخاصة أيام الفراعنة وحكام العرب القدامى، والحفريات والشواهد والآثار خير دليل على تبادل ثمار الحضارة ومعرفة شعوب إفريقيا بعضهم بعضا، مذكرين أن أول من قام بمحاولة الدوران حول إفريقيا هو نيخاو المصري وذلك قبل الميلاد.

وتطرقت الورقة إلى أن التاريخ تدعمه الجغرافيا يتطلب الفرصة، مثلما يتطلب الرجل الشجاع الذي يعرف كيف ومتى تستثمر هذه الفرصة، وهنا فإن افريقيا أرضا وشعبا ومواردا، وجدت في ابن إفريقيا البار، رجلها الشجاع المتصدي المتحدي، قائد ثورة الفاتح العظيم، والحكام الأفارقة الأقوياء الذين تحدوا القرارات الدولية لكسر الحصار المفروض على الجماهيرية العظمى، فرصة تاريخية تدعمها تلك المقولة إفريقيا للأفريقيين، وأن قيام الاتحاد الإفريقي في إعلان سرت 2001 كان الرد الحاسم على الغرب وحلفائهم، وخلق الفضاء الإفريقي العربي كقوة موحدة له ميزان في

منظور العولمة أن كانت هناك عولمة قائمة على مبادئ عادلـــة وإنـــسانية. ولنتذكر أن إعلان سرت 2001 بخصوص مولد الإتحاد الإفريقي قد رسـم تاريخ القارة الجديد، ممثلا وثبة قوية تقدمية في حياة السكان، وفي الموارد المتاحة، والسياسية، مؤكدين في هذا السياق أن اقتراب الجغرافيا والتاريخ، الاقتصاد والسياسة في هذه القارة دون غيرها من القارات يتطلب اقتـــراب تفعيل دراسة أصل وتاريخ سكان القارة، ودراســـة أرضـــها ومواردهـــا، لرخص ما يخططه المستعمر من خطط تضر بالقارة أكثـــر ممـــا تنفعهـــا، فالمستعمرين والمستغلين والمستفيدين من ثروات القارة، هم الذين وضـــعوا وأكدوا أن افريقيا لابد أن تستمر مسرحاً للغليان والفوران بين شعوبها، لأن في ذلك فائدة لهم أكثر من فائدة أبنائها من استثمار مواردها الغنية المتباينة. موضحة الورقة أن إفريقيا الآن هي في أمس الحاجة وهـــي موحـــدة إلـــى صحوة تامة تفيقها مما كانت فيه من سبات عميق وفي حاجة لأنماط فكرية تحررها من حرب الدعاية الإعلامية المعادية، مثلما هي في حاجة لتسخير الإمكانات العلمية والمالية، حسب دراسات مقننة جادة تدعم الوحدة وتفعلها، وتبعد الرؤى والأخيلة التشاؤمية المبناة على فرضيات هدامة مفرداتها غير علمية ولا منطقية إذا ما أخذ في الحسبان أن من حق إفريقيا والأفارقة قيام فضاء يخصهم، مؤكدة الورقة أن كل ضعف تعوضه قوة، وكل نقص تقابله زيادة وكل خلل يحل مكانه اتزان، وأن الضعف والنقص والخلل الذي ســـاد إفريقيا سيتحول مستقبلياً في ضوء إتحادها وفضائها أو تكتلها الذي سيكون قوياً، إلى قوة وزيادة واتزان في الميزان العالمي وعولمته السائدة، ولحديث بقية في تتبع ما بين السطور من مفردات تحتاج لبحث وتقصي أكثر.